مدينة ندرومة الجزائرية –دراسة تاريخية–

The Algerian city of Nedromah - a historical study-

دة.بوحوص شهيناز
جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)
bouhaouschahinez@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/03/22 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2023/07/30

Abstract:

Cities, as defined by Ibn Khaldun, is a decision that nations take when the desired end of luxury and its motives are achieved. So supplication and stillness prefer to take the houses for the decision, and since that decision and shelter, it must be taken into account in it to pay the harmful by protecting from its Tuareg, bringing benefits and facilitating the facilities for it. As for protection from harm, it should be taken into account that all of their homes are fenced with walls, and that this is placed in a prohibited place, either on a bumpy hill of the mountain, or by turning around a sea or river. So that it is not reached until after crossing over a bridge or bridge, so it is difficult for the enemy to reach it, and its abstention and fortification doubles. Cities throughout history are that archaeological entity that is homogeneous or distinct, independent or integrated within customary borders or within the walls surrounding them.

Keywords: the cities; The villages; Al-Massar; the city; the Algerian country; Nedromah; history; historical roots.

الملخص:

المدن وكما عرّفها ابن خلدون هو قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه. فتؤثر الدعّة والسّكون وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب

أن يراعي فيه دفع المضارّ بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها. فأما الحماية من المضار، فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياجا الأسوار وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنة إمّا على هضبة متوعّرة من الجبل، وإمّا باستدارة بحر أو نهر بها. حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدوّ ويتضاعف امتناعها وحصنها. والمدن عبر التاريخ هو ذلك الكيان المعماري الأثري المتجانس أو المتمايز المستقل أو المتكامل ضمن حدود متعارف عليها أو داخل أسوار تحيط بها.

الكلمات المفتاحية: المدن؛ القرى؛ الأمصّار؛ المدينة؛ القطر الجزائري؛ ندرومة؛ تاريخ؛ الجذور التاريخية.

مقدمة:

لطالما حظيت المدن في الجزائر بالأهمية الكبيرة، وعبر حقبات تاريخية مرت عليها، ويرجع ذلك طبعا لأهمية مركزها أو لقيمتها التاريخية أو الاقتصادية حيث ساهمت هذه المدن في المد الحضاري المتعاقب على الجزائر.

ومن أهم المناطق المتواجدة في الجزائر نجد مدينة ندرومة، وهي مدينة جزائرية عتيقة تزخر بالشواهد والأحداث التاريخية، وتشكل إرثا تاريخيا وحضاريا ماتزال شواهده الأثرية تؤكد ذلك وعلى فترات زمنية ترجع إلى حضارات قديمة كالفينيقية، والرومانية، وزادتها الحضارة الإسلامية رونقا أين أصبحت ندرومة خاصة على وجه التحديد في الفترة المرابطية والموحدية وبعدها الزيانية، من أمهات المدن في الجزائر، بل وفي العالم الإسلامي. كما شهدت ندرومة ولادة الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي الكومي التاجري الندرومي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي والسياسي للدولة الموحدية، شكلت ندرومة نقطة عبور لأحداث تاريخية وسياسية واقتصادية، فنجد أن كل الحضارات المتعاقبة على المنطقة قد أثرت على المدينة، كما أثرت المدينة عليها، فكانت بمثابة همزة وصل بين أزمنة تاريخية ضاربة في القدم، بداية من التواجد الفينيقي وإلى غاية التواجد العثماني.

ونظرا لأهمية الموضوع ارتأينا تسليط الضوء على مدينة ندرومة التي تعتبر من أمهات المدن في الجزائر، إلى جانب أصالة المدينة وعلاقتها التاريخية والثقافية وسنحاول في عرض تاريخي وجيز التعرض لأهم الفترات التاريخية التي مرت على ندرومة كما سنحاول التطرق إلى علماء المنطقة الأجلاء الذين ساهموا في ازدهارها علميا وثقافيا.

حاولنا في هذا المقال، التركيز على الحقبات التاريخية والحضارية التي اتخذت من ندرومة محطة مركزية لها ناهيك عن موقعها الجغرافي المتميز الذي جعلها هدفا استراتيجيا لهذه الحضارات.

الخطوط العريضة للدراسة:

-الجذور التاريخية لندرومة.

-موقعها الجغرافي.

-أصل التسمية.

-ندرومة في العهد الفينيقي.

-ندرومة في العهد الروماني.

-ندرومة في عهد الادارسة.

-ندرومة أيام الفاطميين.

-ندرومة أيام المرابطين.

-ندرومة أيام الموحدين والزيانيين، كما سنتطرق إلى الغزو الإسباني للمدينة وصولا إلى التواجد التركي بالمدينة وختمنا الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات.

1- الجذور التاريخية لمدينة ندرومة:

1-1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة ندرومة في منطقة جبلية على بعد 60 كيلومتر إلى الشمال الغربي من تلمسان أسست في سفح جبل فلاوسن، وهي تمتد على منحدرات هذا الجبل من الجهة الشمالية على ارتفاع يتراوح مابين 360 مترا و 470 مترا. تشرف ندرومة على البحر المتوسط وتبعد عنه على

خط مستقيم بـ6 كيلومتر وهي متصلة بالبحر عن طريق شاطئ سيدي يوشع وكذا ميناء الغزوات، ويعرفنا المدين قائلا: "ندرومة مدينة بديعة لطيفة، نقية، يسكنها 6 آلاف من المسلمين و750 من الأوربيين و 500 من اليهود، ترتفع بـ 420 مترا على سطح البحر، وقد كانت ندرومة محاطة بسور محكم لاتزال بقاياه موجودة وبها مسجد عتيق يدعى مسجد سيدي أبي علي، والمسجد الأعظم، وقد بنيت منارته سنة 1848، وكذلك مسجد سيدي يحي بن عوفيل.

يشتغل أهلها بصناعة الحرف، وبنسيج الصوف، ويتعاطون تجارة واسعة، وحازت ندرومة في إفريقيا، شرف إنجاب بطل الموحدين عبد المؤمن بن علي صاحب المهدي بن تومرت، ومن ندرومة يستطيع الإنسان أن يتسلق جبال فلاوسن وهو يبعد عنها مسيرة ساعتين و يرتفع بـ 1136 مترا ومنه يمكن رؤية السواحل الإسبانية إن كان الجو صافيا.

تقع مدينة ندرومة على كتلة جبلية، حيث أن هذه الكتلة تكونت عند نهاية عصر الأوليجوسين واستمرت خلال عصر الميوسين، تتميز ندرومة بغطاء نباتي متنوع، عبارة عن غابات كثيفة من أشجار التين والزيتون ومختلف الفواكه وهذا ما انعكس على نشاط السكان حيث دفعتهم الظروف التاريخية إلى امتهان الزراعة وتربية المواشي، وكانت أهم منتجاتهم؛ الحبوب والقمح والشعير والعسل، كما كان لندرومة وديان كبيرة ومهمة مثل واد الحمراء، واد الدمين، واد الثلاثاء، وقد وصفها ابن خلدون: "... إنها أعدل الأرض مزاجا وأفضلها إنتاجا، ما بين افريقيا والسوس الادنى إلى المغرب الأقصى، أما مارمول Marmol فقد وصفها قائلا:"... وفي الجبال المجاورة أشجار تدعى الخروب، ثمارها حلوة لدرجة أن السكان يصنعون منها عسلا، يأكولونه طوال السنة مع اللحوم... ويحصد السكان كمية من القمح والشعير ويملكون عددا كبير من القطعان، ويصنعون ما أجمل في بلاد البربر من أقمشة القطن."

2-1- أصل التسمية:

أشار حسن الوزان إلى أن تسمية مدينة ندرومة تعود إلى الفترة الرومانية ببلاد المغرب وأنهم أسسوا المدينة على نفس التصميم لمدينة روما، إذن وحسب الرحالة حسن بن محمد الوزان نجد أن اسمها مشتق من كلمة "ند" التي تعني يساوي أو يشبه، أي ندرومة، مثل روما.

أما اليعقوبي فقد ذكر المدينة في كتاب البلدان في نهاية القرن 9 ميلادي: "إن المدينة العظمى المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان... كانت في أيدي العلويين، وآخر المملكة مدينة فلاوسن وهي مدينة عظيمة" أما البكري والذي عاش في القرن 5 للهجري 11 ميلادي وهو الذي ذكر لأول مرة اسم ندرومة قائلا: " ... ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرة وبينها وبين البحر 10 أميال " وعليه نجد أن اليعقوبي ذكر المدينة باسم الفلاوسن في حين ذكرها البكري باسم ندرومة، وهذا ما يشير إلى أن تسمية ندرومة تغيرت بتقادم الزمن، أما الإدريسي فقد وصفها قائلا: " وندرومة مدينة كبيرة عامرة آهلة... موضعها في السند ... ولها واد يجري في شرقيها وعليها عمارة وسقي كثير..."، وها هو أبو بكر ابن علي الصنهاجي المكي بلبيدق يذكر أن اسم المدينة مأخوذ من إحدى بطون قبيلة كومية: "...كومة لهم من الأحفاد 25 من ذلك أهل قرية ندرومة ..." وهناك ما ذكر أن معنى اسم ندرومة :" أنظروا الماء" وأن هذه الجملة قد نطق بها الفرسان العرب" أنظروا الماء" الذين قدموا من تلمسان نحوها ولما تراءى لهم ماء البحر نطقوا بها بهاتين الكلمتين والتي أخذ الناس تداول اسم ندرومة منها، ونجد أن صاحب روض القرطاس علي بن أبي زرع الفاسي أشار إلى أن ندرومة الواقعة في سفح جبل فلاوسن قد أسست من قبل عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 554 للهجرة /1159م وهذا ما يعني أنها بنيت في العهد الموحدي على العموم ما يمكن قوله أن تسمية ندرومة لم تصبح متداولة إلا بعد القرن 5هـ/11م.

1-3- ندرومة عبر العصور:

1-3-1- ندرومة في التاريخ القديم:

مما لاشك فيه أن هذه المنطقة احتوت على مؤهلات وظروف طبيعية ملائمة لمأوى الإنسان القديم، وهذا نظرا لوجود كهوف ومغارات محصنة طبيعيا، إلى جانب الجبال والسهول والغابات الخصبة من وفرة المياه والمناخ الملائم، ناهيك عن موقعها المطل على البحر. وفي هذا الشأن ذكر ستيفان غزال (Stéphane Gsell) أنه يوجد صفائح من حجر الصوان وقطع من الخزف في العديد من كهوف المنطقة لاسيما تلك الموجودة على الشاطئ الأيمن لواد غزناوة[1].

1-3-2- ندرومة في الفترة الفينيقية:

في الألفية الثانية قبل الميلاد وجد ميناء عند مصب التافنة وكان محطة تجارية، وأسس على يد الفينيقين باسم الجساريا بورتوس، كما أنه وجدت بعض الفخاريات في خليج تفاسوت، تعود إلى العهد الفينيقي وذلك اثر الحفريات التي قام بها جورج ماسي George Massu بين موانئ المهدية وندرومة سنة 1945[2]، لكن سرعان ما تغيرت موازين القوى لصالح الامبراطورية الرومانية لاسيما عقب الحروب البونيقية، ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وأسفرت هذه التطورات الخطيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط عن تأسيس مملكة نوميديا الغربية بقيادة ماسينيسا وسيفاقس وكذا يوغرطة أين اتخذوا من سيقا عاصمة لهم، ويمكن القول أن هذه المنطقة الغربية من سيقا حتى ندرومة كانت عبارة عن موانئ وأراضي تابعة لمملكة نوميديا الغربية[3].

1-3-3-ندرومة في العهد الروماني:

كانت الفترة الرومانية من أبرز الفترات التاريخية التي مرت على مدينة ندرومة وذلك من خلال الاكتشافات التي وجدت بين نهري ملوية والتافنة، فنجد أن الرومان قد شرعوا في توسعهم في المنطقة عن طريق شبكة من الطرق التي تبدأ من ألطفا Altava "أولاد ميمون" وصولا إلى

بوماريا Pomaria"تلمسان" بلوغا نوموروس سيروم "مغنية" كما اتخذوا مسالك أخرى بداية من مصب التافنة وسيقا مرورا بواد يسر وسهلي الرمشي[4] والحناية، وقد اعتبرت موانئ ندرومة من أهم الموانئ في العهد الروماني كما اختيرت البعض منها لتكون مركزا عسكريا لحراسة السواحل.

1-4- ندرومة في العهد الإسلامي:

مرت على مدينة ندرومة فترات تاريخية اسلامية، وذلك بداية من أيّام الأدارسة وإلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا عرض موجز لأهم الفترات التاريخية الإسلامية التي مرت على المدينة العتيقة.

1-4-1-ندرومة في عهد الأدارسة:

بعد قدوم ادريس الأكبر بن عبد الله بن الحسين إلى المغرب الأوسط، تلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة وتلمسان ودخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن، ومكنه من تلمسان وأمصارها. وبذلك أصبحت تلمسان وأمصارها اسميا للأدارسة، وكان ممثل الأدارسة فيهم محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل. وقد أقيمت دويلات سنّية علوّية صغيرة لبني سليمان في عهد محمد بن ادريس ناحية تلمسان وندرومة، وهذا ما أشار إليه اليعقوبي في كتابه البلدان أن آخر مملكة لبني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن في مدينة فلاوسن ندرومة[5].

1-4-2- ندرومة أيّام الفاطميين:

أمام السياسة التعسفية التي انتهجتها الجيوش الفاطمية القادمة من مصر والتي اتخذت من تهرت عاصمة لهم، استنكر أمويو الأندلس ذلك وقاموا بجمع قبائل المغرب الشرقي بما فيها ساكنة ندرومة، وأمروهم بحمل السلاح لمواجهة والتصدى لهذا التوسع الفاطمي. غير أن هذا الوضع أسفر عن فوضى داخلية شهدتها ندرومة وتخومها، وكان هذا الصراع قائما بين الحسن ابن أبي

العيش حليف الأدارسة، وبين موسى ابن أبي العافية الزناتي حليف الأمويين. وهذا ماجعل ندرومة وساكنتها محل هذا الصراع.

وانتهى هذا الصراع بشنّ حملة عسكرية وتوسعية وذلك سنة 347هـ/959م بقيادة جوهر الصقلي المولى اليوناني، أين تمكن من إحكام قبضته على المنطقة بما فيها ندرومة، وعليه تمكن من استرجاع السيادة الفاطمية عليها.(6)

1-4-3- ندرومة في فترة الحماديين:

بعدما حل الزيريون والحماديون محل العبيدين بعد انتقالهم إلى مصر، وضع الحماديون أيديهم على بلاد المغرب الاوسط وكانت ندرومة وباقي المنطقة تعاني من الصراع الحمادي – الزناتي ولاسيما في عهد بلكين بن محمد. كما أثر الزحف الهلالي على قبائل المنطقة بما فيها قبائل ندرومة(7)، وما تجدر الملاحظة إليه أن بلاد المغرب الإسلامي في القرن الخامس للهجرة وأوائل القرن 11م كانت مقسمة إلى مجموعة من الدول حيث كان هناك تباين واضح من وجهة التنظيم السياسي لاسيما بين الجهة الشرقية والجهة الغربية، فنجد أن الشطر الاول انحصر بين دولة بني زيري ودولة بني حماد، أما الجهة الغربية فقد شهدت قيام دولة المرابطين كما تزامنت هذه الفترة مع الهجرة الهلالية العربية واستمرت حوالي قرن ونصف(8).

1-4-4- ندرومة أيام المرابطين:

خضع المغرب الأوسط آنذاك لسلطة الأمير العباس بن بختي من أبناء يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر، وكان مقر اقامته مدينة تلمسان وبعد تحرك المرابطين من المغرب الأقصى نحو تلمسان وأنصارها سنة 472 للهجرة ما يقابلها 179 للميلاد بقيادة مزدالي المتوني، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل نظرا لمقاومة الامير المغراوي له ليعود إليها يوسف بن تاشفين(9) بنفسه العام القادم سنة 473 للهجرة ما يقابلها 1080 للميلاد بجيوشه، مارا بنواحي واد مليوية(10) وبني

زناسن الحدودية، وبعدما استولى يوسف بن تاشفين على ندرومة وأحوازها جعلها ثغرا من ثغور مملكته يرد هجمات بني حماد منها إلى غاية ابرام الصلح بينهم سنة 496 للهجرة 1103 للميلاد أين تم الصلح[11].

تعتبر ندرومة من المدن التي عايشت أحداث الفترات الإسلامية المتعاقبة كما عرفت ازدهارا في الحياة من جميع المناحي وكان ما يلحق من أحداث وتطورات بتلمسان يعود بالضرورة على نواحيها بما في ذلك ندرومة ويعتبر المسجد الجامع الذي أسسه ابن تاشفين من أبرز التفاصيل العمرانية التي ترجع إلى العهد المرابطي.

1-4-5- ندرومة في فترة الموحدين:

مما لاشك فيه أن دولة الموحدين قد تأسست على مرحلتين أولها مرحلة أبي عبد الله محمد بن تومرت وقد بدأت هذه المرحلة من سنة 515 هـ إلى 524هـ / 1121م – 1130م، وأسس بن تومرت دعوته على أساس ديني قائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أساس قبلي وهو الصراع بين القبائل البربرية قبيلة لمتونة الموالية للمرابطين وقبيلة هرغة المصمودية الموالية للموحدين، واتخذ ابن تومرت حصن تينمالل مقرا له ولدعوته. أما المرحلة الثانية فقد كانت بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي التراري الندرومي من 524هـ إلى 543هـ/ 1130 م إلى 1049م والذي توجت بسقوط المرابطين وقيام الدولة الموحدية[12].

لعبت ندرومة دورا بارزا في المعركة الفاصلة بين اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي والتي انتهت بمقتل السلطان المرابطي في 27 رمضان 439 للهجرة[13]، وفي هذا الصدد يشير صاحب روض القرطاس أن مدينة ندرومة أسست من طرف عبد المؤمن بن علي لاسيما بعد الاهتمام الواسع الذي حظيت به المدينة من طرف الحاكم الجديد حيث تم تشييد العديد من المباني العمرانية المتنوعة التي مازالت آثارها قائمة حتى اليوم.

1-4-6- ندرومة تحت الحكم الزياني:

أمام الضعف الذي لحق الموحدين، فكرت العديد من القبائل بالانفصال عن الدولة الأم وهو ما حدث مع شيوخ بني عبد الواد للسيطرة على تلمسان وتحقق ذلك سنة 627 للهجرة الموافق لـ:1299 للميلاد على يد جابر بن يوسف بن محمد، فبايعته نواحي تلمسان سوى مدينة ندرومة أين كان لها موقفها التاريخي من الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب الإسلامي وتحديدا في العهد الزياني، ولم تمنح ندرومة ولاءها بسهولة ففي سنة 629 للهجرة /1231 للميلاد توجه جابر بن يوسف العبد الوادي الذي كان واليا على تلمسان من قبل ادريس المأمون الموحدي إلى مدينة ندرومة ضاربا حولها حصارا شديدا بسبب أن ساكنة ندرومة رفضوا مبايعته، وتم قتله على يد أحد سكان ندرومة المسمى يوسف الغفائري، واستمرت ندرومة متمتعة باستقلالها حتى اتضحت معالم انهيار الدولة الموحدية وأفل نجمها الأمر الذي جمع بتزايد الهجمات على ندرومة ومحاصرتها بقوة، ولما قامت الدولة الزيانية سنة 633 للهجرة/ 1236 للميلاد أثبتت ندرومة صمودا واضحا في وجه المحاولات المرينية للاستيلاء عليها[14]، حيث أرسلت هذه الأخيرة فرقها العسكرية لمدينة ندرومة، لكنها لم تستسلم بل بقيت تابعة لحكم البلاط الزياني وذلك راجع لرضا سكانها عن حكم السلطان يغمراسن[15]، وهذا ماذكره ابن أبي زرع أن أبا يعقوب يوسف قرر احتلال تلمسان مرة ثانية قائلا: " وفي سنة ستين وتسعون وستمائة غزا أمير المسلمين يوسف بلاد تلمسان فخرج إليها... حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشد في قتالها أياما، ثم ارتحل عنها[16]، وأمام استمرار الهجمات المرينية على ندرومة استغاثت المدينة وسكانها بالسلطان عثمان بن يغمراسن لكنها لم تتلق منه جوابا لانشغاله بحملات تأديبية في بلاد بني توجين فانصاعت ندرومة تحت إمرة يوسف أبو يعقوب[17].

***الغزو الاسباني لمدينة ندرومة:**

شهدت الدولة الزيانية في أواخر القرن التاسع عشر ضعفا وانحطاطا لأسباب كثيرة ولعل أهم سبب أدى إلى هذا الانحطاط هو الصراع السياسي والعسكري على الحكم بين الأمراء الزيانيين؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى، كان الصراع على أشده بين السلطة الزيانية وبني مرين وما بينهما القبائل المناوئة المستغلة للظروف والفرص. لقد كان أكبر خطر يهدد السواحل الجزائرية في ذلك العهد هو الخطر الإسباني، وأمام سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة 897 للهجرة / 1492 للميلاد أين تحركت البحرية الإسبانية صوب السواحل الجزائرية وقاموا باحتلال عدة مراكز ومدن ساحلية استراتيجية كوهران والمرسى الكبير، مستغانم، الجزائر، بجاية، وذلك بداية القرن السادس عشر[18]. وفي سنة 1531بعث شارل الخامس charles V حملة بحرية تحت إمرة دون ألفريدو بازان Don Alfredo نحو مدينة ندرومة وهنين، فاحتلوها واشتدت مقاومة سكانها لهذه الحملة وبفضل المد التركي الذي وصل تلمسان تم تحرير تلمسان وأمصارها بما فيها ندرومة من الاحتلال الاسباني ودخلت ندرومة مرحلة تاريخية لا تقل أهمية من الفترات التاريخية السابقة حيث أصبحت الجزائر تحت الحماية العثمانية.

1-4-7- ندرومة تحت الحكم العثماني:

ما تجدر الإشارة إليه هو أن القرن السادس عشر للميلاد/ العاشر للهجرة، قد شهد تنافسا شديدا وخطرا بين كل من الأتراك الوافدين الجدد على المنطقة وبين السعديين والمغرب الأقصى على تلمسان وأمصارها خصوصا ندرومة وضواحيها ففي سنة 1061 للهجرة 1650 للميلاد وجه السلطان المغربي مولاي محمد حملة على ندرومة وقام بهتك أعراض سكانها وممتلكاتها غير أن سكان ندرومة تصدوا لهذه الحملة وواجهوها بكل ما أوتوا من قوة وقاتلوا إلى جانب الحامية التركية واستطاعوا أن يردوا الأعداء إلى ديارهم منهزمين، كما شن مولاي اسماعيل سنة

1089 للهجرة/ 1679 للميلاد، حملة جديدة إلا أنه انهزم هو الآخر أمام استبسال سكان المنطقة ناهيك عن الدعم التركي المقدم لهم وابتداء من سنة 1791 أصبحت ندرومة رسميا تحت الحكم التركي بالجزائر وأصبحت المدينة هي العاصمة السياسية للمنطقة ندرومة وتخومها وأصبحت تابعة إداريا لباي وهران إلى جانب ذلك فقد وضع الأتراك حامية عسكرية في ندرومة للحفاظ على أمن المنطقة ومراقبة الموانئ التابعة لها وحراستها من أي تدخل أجنبي[19].

2– علماء وفقهاء ندرومة:

2-1- محمد بن سليمان بن عبد الحق الإفريني الكومي الندرومي:

أ–التعريف به: هو أبو محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفريني الكومي الندرومي التلمساني، ولد بتلمسان عام 539 للهجرة/ 1141 للميلاد، ولده عبد الحق بن سليمان الندرومي الذي تولى القضاء والخطاب بتلمسان، وهو دفين المدينة المنورة.

ب–أعمال العلمية:

–تولى القضاء وكان مشهود له بالعدل والإنصاف .

–بلغ تأليفه 23 مصنفا ولعل أهمها المختار الجمع بين المنتقى والإستذكار – "الإقلاع في ترتيب السماع" –"الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم"، ميزان القرآن.

توفي الشيخ الجليل بتلمسان سنة 625 للهجرة 1228 للميلاد.

2-2- محمد بن سحنون الندرومي الكومي:

أ–التعريف به: هو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي الطبيب العالم ينتسب إلى قبيلة الكومية من ندرومة ولد بقرطبة حوالي 580 للهجرة/ 1184 للميلاد ونشأ بها.

ب–أعماله: بعد تحصيله وتكوينه عاش في أواخر العهد الموحدي وكان مقيما بإشبيليا من مصنفاته العلمية اختصار كتاب المستسقى للإمام أبي حامد الغزالي أين تناول أركان علم أصول الفقه توفي عالمنا سنة 634 للهجرة/ 1234 للميلاد بالأندلس رحمة الله عليه.

2-3- محمد بن محمد بن يحي الكومي الندرومي:

عاش العالم الجليل في القرن 8 للهجرة / 14 للميلاد، من آثاره المخطوطة ثبت الندرومي.

2-4- علماء أسرة بن عبد النور الندرومي:

عرفت هذه الأسرة نسبة للعالم محمد بن عبد الله محمد بن عبد النور الذي عاش ما بين النصف الثاني للقرن 7 للهجرة/ 13 ميلادي إلى النصف الأول من القرن 8 للهجرة/ 14 ميلادي، ساهمت هذه الأسرة بتنشيط وتفعيل الحياة العلمية بتلمسان وندرومة وأنجبت ثلاثة علماء هم:

–القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي.

– القاضي علي بن عبد النور.

–العالم محمد بن علي بن عبد النور.

الخاتمة:

أمام الموقع الاستراتيجي الذي حظيت به ندرومة، خولها أن تكون على تواصل مع الحضارات المختلفة كالفينيقية وبعدها الرومانية والإسلامية.

لقد كانت مرافئ ندرومة وتخومها احدى قنوات الاتصال بين بلاد المغرب الأوسط ومختلف الحضارات التي عرفها العالم لاسيما في الحوض المتوسط.

حظيت ندرومة باهتمام الرحالة والجغرافيين والمؤرخين فوصفوها جغرافيا عبر الفترات التاريخية المتعاقبة عليها كما ذكروا أن ندرومة بلغت بداية من القرن الثالث الهجري مستوى عال على الصعيد التجاري والمعماري وكذا الثقافي.

أخذت مدينة ندرومة مكانة المدينة المركزية وكان الجامع الكبير بها مركز للصلاة والعبادات وقبلة لطلاب العلم، كما تخرج من ندرومة ثلة من العلماء والشيوخ الأجلاء والذين ساهموا في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الحوض المتوسط فقد كانت ندرومة حاضرة علمية بامتياز أثرت وتأثرت وكتبت اسمها في تاريخ مدن الجزائر على أنها من أمهات المدن والقرى بالقطر الجزائري.

الهوامش:

1- Stéphane Gselle, Atlas, archéologique de l'Algérie, Tome 1, 2 éditions, Alger 1997, p 88.

2- قدور منصورية، منطقة ترارة: دراسة تاريخية وحضارية من القرن 5هـ/11م حتى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه،2017_20 18. ص 24

3-ميلود رقيق، عين تموشنت عبر العصور، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 66

4- على مسافة 34 ميل أنجز الوالي الروماني فلافيوس كليمانس وبعد الاحتلال اتخذو شمال نوميديا مركزا للزراعة ذلك أنها كانت من أخصب الأراضي كما أسسو بالساحل الوهراني مدنا وموانئ، أنظر: محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، الجزائر، 2007، ص 44 ، أيضا أنظر: صندوق ستي، تلمسان وأحوازها في العصور القديمة، مجلة عصور جديدة، العدد 2، وهران، 2011، ص 27

5- اليعقوبي بن واضح، كتاب البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين صناوي، ط01، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص 196

6- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1997، ص 154. أيضا: عبد العزيز الفيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر، دت، كذلك: نوال بلمداني، السلطة والقبائل الرعوية بمجالات المغرب الاوسط دراسة في العلاقة القرن 4 للهجرة 10 للميلاد، مجلة المرآة، العدد 2، وهران، 2014، ص 159، أيضا: قدور منصورية، المرجع السابق، ص 30

7- عرفت ندرومة صراعا محتدما بين الحماديين والزناتيين لاسيما ابان حكم الناصر ابن عناس وابنه عبد العزيز، حيث سقطت ندرومة تحت حكمهم، للمزيد انظر: رشيد بروبية، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، 1977، ص 15-16

8- العروي عبد الله العربي، مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، المغرب، 2007 ، ص 243

9- يقول صاحب الإستقصاء أنه لما دخلت سنة 454للهجرة /1061للميلاد استفحل أمر يوسف بن تشفين بالمغرب الإسلامي واتسعت رقعة حكمه والبلاد التابعة لسلطته ورسخت قدمه في الملك . أنظر: العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة المرابطية والموحدية، الجزء الاول والثاني، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص 22 ، وأيضا: سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تشفين أمير المرابطين، بيروت، 1985،

10- واد مليويا نهر يقع شرق مراكش ويصب في البحر المتوسط، للمزيد راجع: مرمول كربخال، افريقيا، ج02، ترجمة: محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، دار النشر المعرفة، الرباط، 1988، ص 37

11- قدور منصورية، المرجع السابق، ص 38

12- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق: ليفبرو فانسيال، القاهرة، 2006، أيضا: عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغرب السوسي، بيروت، 1983

13- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971 ، ص 131

14- أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 ، ص 314، أيضا: الناصري، المصدر السابق، ج3 ، ص 79

15- قدور منصورية، المرجع السابق، ص ص 69-75

16- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 386، أيضا: بن زغادي محمد، قراءة جغرافية وتاريخية في مدينة ندرومة العتيقة، تلمسان، دت، ص 149

17- بن زغادي محمد، نفسه، ص 149

18- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، دت، ص 70، أيضا: بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى اواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، الجزء الاول والثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990

19- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة والنشر، الجزائر، 2009، أيضا: أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 316 ، أيضا: قدور منصورية، المرجع السابق، ص 78، كذلك: المزاري، المصدر السابق، ص ص 206-260